مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاخبار
التاريخ : ١٩٧٣/١١/١٥

حرب المدرعات الضارية التى استمرت ١٣٠ ساعة

بعد ساعات من بداية حرب اكتوبر .. ونجاح القوات المصرية فى معركة العبور الى الشرق .. بدات معارك الدبابات بيننا وبين العدو .. على ارض سيناء .. وطوال ١٧ يوما لم تتوقف حرب المدرعات وتحولت الصحراء المصرية فى شرق القناة ميدانا لسلسلة من أكبر المعارك المدرعة فى تاريخ الحروب .. من حيث عدد الدبابات والمدرعات التى استخدمت خلالها .. بل وطول فترات المعارك التصادمية خلال ساعات الليل والنهار ..!

واذا كان التاريخ العسكرى يذكر دائما معركتى العلمين وستاليينجراد كاكبر واشهر معارك الدبابات .. حسما فى الحرب العالمية الثانية .. فان معركة سيناء بين القوات المصرية وجيش اسرائيل .. فى حرب اكتوبر التحريرية .. دخلت هذا التاريخ من اوسع ابوابه .. كواحدة من اكبر معارك الدبابات عنفا وضراوة !.. ووصفها الخبراء العسكريون فى العالم بانها حرب طاحنة شديدة القسوة !.

واذا كان خبراء حرب الصحراء فى الحرب العالمية الثانية اكدوا على ضرورة تحقيق مجموعة من المبادىء الاساسية .. لابد من تنفيذها على ارض مسرح الحرب الصحراوى .. فان القوات المدرعة المصرية استطاعت خلال معارك سيناء التى دارت على ارض صحراوية شديدة القسوة والوعورة .. ان تغير من تكتيكات حرب الصحراء .. بل واضافت الكثير من النظريات العسكرية الجديدة بعد ان طبقتها وبرزت واضحة تماما من خلال النتائج التى تحققت على ارض المعارك !..

الصحراء تصلح لكل الحروب

ان القوات المصرية المدرعة فى معاركها الضارية .. فى مواجهة سلاح المدرعات الاسرائيلى المتخم بالمعدات العسكرية الحديثة التى تمتلىء بها ترسانة السلاح الصهيونى استطاعت أن تؤكد الحقيقة العسكرية عن حرب الصحراء وهى الاعتماد على السرعة الخفيفة والمرونة دفاعا وهجوما

ومرة اخرى ودون مبالغة .. أقول ان تجربة النيران الرهيبة على أرض سيناء .. كانت اختبارا رائعا لقواتنا المدرعة التى لم تنفذ فقط مبادىء حرب الصحراء كما وضعها خبراء الحرب .. وانما استطاعت ان تثبت ان الصحراء تصلح لكل الحروب !.

وخلال كل المعارك التى دارت فى حرب المدرعات الرهيبة فى سيناء .. كان الهدف الاساسى والمباشر لقواتنا المقاتلة هو تدمير كل وسائل النيران المعادية .. ان هذا الهدف لم يغب لحظة واحدة عن كل القادة العسكريين المصريين وعلى كل المستويات .. وقد نفذوه بدقة واصرار لا يلين وعناد شديد اثار دهشة كل الخبراء العسكريين الذين كانوا يتابعون سير الحرب فى العالم كله !.

وبالتاكيد فان اولى النتائج التى تحققت فى معركة سيناء .. كانت تحطيم سلاح المدرعات الاسرائيلى الذى ملأ العالم حديثا منه خلال ٢٠ عاما .. والذى اطلق عليه بعض قادة العدو انه سلاح الرعب فى مواجهة الجيوش العربية !. ذلك ان ماحدث على ارض سيناء .. لم يكن يخطر على بال احد من قادة العدو الذين كانوا يحلمون بتحطيم القوات المصرية على ارض

سيناء .. ويباهون بما يحصلون عليه يوميا من الاسلحة وفى مقدمتها الدبابات الامريكية والبريطانية مثل الدبابة السنتوريون الانجليزية والدبابة الامريكية باتون وحتى الدبابات الحديثة مثل توم ام-٦٠ الى جانب العشرات من انواع المدرعات الاخرى المساعدة والدبابات الخفيفة

العلمين .. ونيران سيناء

واذا كان لابد هنا من المقارنة بين معركة صحراء العلمين ومعركة صحراء سيناء .. فيكفى ان نتذكر ان مجموعة جيوش الحلفاء التى كان تشكون منها الجيش الثامن البريطانى بقيادة القائد البريطانى الشهير مونتجومرى لم يكن لديها عندما بدأت هجومها الكبير على ارض العلمين سوى ١٢٠٠ دبابة ، ٢٠٠٠٠ مدفع ميدان !.

اما فى معركة سيناء .. فان المعارك كانت تدور بالمئات من الدبابات والمدرعات فى كل يوم .. بل انها دارت فى بعض ايام الحرب بأكثر من الف دبابة ومئات المدرعات . واذا نظرنا لحجم الخسائر بالنسبة للعدو من باب المقارنة ايضا .. فان خسائره فى الدبابات والمدرعات بلغت حتى مساء الاحد ٢١ اكتوبر وقبل صدور قرار وقف اطلاق النار بـ ٢٤ ساعة اكثر من ٦٠٠ دبابة و ٤٠٠ مدرعة الى جانب خسائره الفادحة فى مواقع المدفعية ووحدات الصواريخ ارض ارض والصواريخ المضادة للدبابات ومواقع الدفاع الجوى .. والمئات من السيارات العسكرية بانواعها المختلفة .. اما خسائره فى الافراد فكانت بالآلاف !.

اسلحة الجيش الثامن البريطانى

واذا اضفنا لهذه الخسائر .. خسائر الجيش الاسرائيلى التى الحقتها به القوات المدرعة المصرية فى اليوم الاخير للقتال فى سيناء والتى بلغت اكثر من ١٥٠ دبابة ومدرعة فان معنى هذه الارقام .. ان ماخسرته اسرائيل فى حرب المدرعات فى سيناء يقل قليلا عن حجم القوة المدرعة التى كانت لدى الجيش الثامن البريطانى فى العلمين خلال الحرب العالمية الثانية .. وهو الجيش الذى هزم القوات النازية بقيادة روميل وطردها نهائيا من صحراء مصر وليبيا !.

ووصف مونتجومرى فى مذكراته حجم قوة جيشه ليلة الهجوم الكبير على العلمين فى الثامنة و ٤٠ دقيقة مساء الثالث والعشرين من اكتوبر ١٩٤٢ بقوله ((انتقل الجيش الثامن الذى كان لديه ١٢٠٠ دبابة والف مدفع للهجوم)) .. وقد أردت بهذه المقارنة ان اوضح حجم ونوع المعارك الرهيبة التى دارت على ارض صحراء سيناء !.

علم حلفا .. وتدمير اللواء الاسرائيلى ١٩٠

اذا كانت معركة علم حلفا هى بداية النجاح للجيش الثامن البريطانى فى

الصحراء العربية وهو فى طريقه لتحقيق النصر فى العلمين .. وقال عنها كتاب التاريخ العسكرى انها تمثل مفترق حرب الصحراء واول هزيمة لقوات روميل النازية .. فان معركة تدمير اللواء المدرع الاسرائيلى رقم ١٩٠ والتى جرت فى القطاع الاوسط من سيناء .. كانت بالفعل البداية الناجحة فى معارك الدبابات التى دارت على ارض صحراء سيناء .. حيث تم فى هذه المعركة ليس (لوى) ذراع المدرعات الاسرائيلية فقط وانما كسر اجزاء كبيرة من هذه الذراع وتعرية قادة العدو وكسر انوفهم ووضع شجاعة الاسرائيليين فى حجمها الطبيعى !.

المعارك فى قطاعات سيناء كلها

ان معارك الدبابات بيننا وبين العدو .. كانت تدور بصورة يومية فى قطاعات الجبهة الثلاثة .. القطاع الشمالى والقطاع الاوسط والقطاع الجنوبى .. وفى معارك الاسبوع الاول من الحرب فرضت القوات المصرية المدرعة تكتيكاتها على العدو اجبرته على القتال داخل الارض التى حددتها وطبقا للخطة العسكرية الموضوعة .. ومن هنا تكسرت الهجمات المضادة الاسرائيلية التى كان يشنها العدو بصورة يومية وفشلت كل محاولات العدو لتنفيذ التكتيك الذى يعتنقه سلاح المدرعات الاسرائيلى الذى يعتمد على المناورة والهرب السريع والالتفاف والتى تساعده فيها نوعية الدبابة الامريكية .. وبحيث لا يورط القوات الرئيسية فى معارك يتحمل خلالها خسائر كبيرة .. حيث كان يركز دائما على محاولات الهجوم والالتفاف بـ ٢٠ او ٣٠ دبابة .. وبمجرد اصابة عدد من دباباته يبدأ فى الخروج من دائرة النيران والانسحاب السريع .. ذلك ان كل اساليب العدو .. كانت معروفة للقادة المصريين وايضا لكل المقاتلين !.

خسائر العدو فى الاسبوع الاول

ومن هنا فان نتائج المعارك اليومية فى الاسبوع الاول من الحرب .. كانت تمثل اكبر خسائر لحقت بالعدو فى تاريخه كله .. وقد حاول أن يجرب تغيير تكتيكاته فى المعارك التصادمية اليومية فارسل ٦٠ دبابة فى هجوم سريع تساندها المدفعية والصواريخ الى جانب حماية الطائرات .. وكانت خسارته خلال ٣ ساعات ٤٠ دبابة دفعة واحدة .. وجرب نفس الخطة عدة مرات فكانت خسارته ٢١ دبابة فى القطاع الشمالى و١٨ فى القطاع الجنوبى الى جانب العشرات من العربات المدرعة والسيارات !.

نتائج المواجهة على نفسية الجندى الاسرائيلى

وفى رأيى ان النتائج السريعة لصورة المواجهة اليومية المدرعة بين قواتنا

الباسلة وجيش اسرائيل برزت منذ اليوم التالى لبداية الحرب .. وتاكدت هذه النتائج خلال الايام التالية بصورة واضحة تماما ..

ذلك ان الدعاية الاسرائيلية كانت تصور لهم المقاتل المصرى على انه جندى غير قادر على الحرب و لايعرف فنونها وليست لديه الجرأة على المواجهة !.

وعندما فوجىء الجنود الاسرائيليون بنوعية المقاتل المصرى وقدرته على الاحتمال وشجاعته اللامحدودة والاسطورية لم يستطع ان يتحمل .. وواضح هنا انه لا ثقة بين القيادة وقواتها .. ورأينا على ارض سيناء الطيارين الاسرائيليين المقيدين ايضا بالسلاسل على مقاعد القيادة التى دمرتها الصواريخ المصرية !

واذكر انه خلال احدى المعارك التقطت قواتنا الكثير من استغاثات قادة الدبابات تطلب من القيادة سرعة ارسال الطائرات لتخفيف ضغط المدفعية المصرية ونيران الدبابات والصواريخ ولن انسى ذلك الحديث الذى جرى بين احد القادة العسكريين وقواته المدرعة والتقطته قواتنا فى مكان ما بسيناء خلال احدى المعارك الضارية عندما صاح فى قواته ((ايها الاسرائيليون اثبتوا .. لا تهربوا امام المصريين كالاسماك المذعورة !

مرة ثانية ما اقصده هو ان نتائج المواجهة مع العدو ليست تدمير القوة العسكرية الاسرائيلية وانما تدمير نفسية الجندى الاسرائيلى فى ميدان القتال.. وضرب قطرسة القادة فى صميم اعماقهم

الاسبوع الثاني اكثر عنفا وضراوة

واخذت معارك الدبابات والمدرعات فى الاسبوع الثانى .. صورة اخرى اكثر عنفا وضراوة .. وكانت مرحلة اخطر كثيرا من المراحل التى قامت بها قواتنا فى الاسبوع الاول .. ذلك ان معارك الصحراء المكشوفة تحتاج الى حسابات غاية فى الدقة .. وكان من المهم جدا .. ان تملك وحداتنا الضاربة كل امكانيات الاستمرار فى تحريك الاذرع القوية على امتداد الجبهة وبطولها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب .. مع ضرورة الاستمرار فى اخذ المبادأة من العدو فى كل عمليات الهجوم والدفاع الى جانب الضرورة السريعة والملحة فى تجميد هجمات العدو المضادة .. واجباره دائما على القتال على الارض التى نختارها له!

واذا تركنا كل معارك المدرعات المحدودة والمحلية .. كما يسميها العسكريون .. فاننا لابد ان ندخل سريعا فى معارك الايام الحاسمة فى سيناء ذلك أن هذه المعارك اخذت فى صورتها اليومية شكلا تصاعديا رهيبا حتى فجر الاربعاء ١٧ اكتوبر !.

معارك الـ ١٣٠ ساعة الحاسمة فى سيناء

وفى الساعات الاولى من صباح الاربعاء ١٧ اكتوبر بدات اكبر واخطر مرحلة فى حرب سيناء .. دفع العدو بكل الاحتياطى الاسرائيلى من المدرعات

والدبابات والصواريخ والاسلحة المعاونة تساندها الطائرات فى اتجاه قواتنا التى كانت مستعدة للهجوم الكبير ووضعت فى حساباتها مواجهته بكل العنف والضراوة !.

وعلى ارض القطاع الاوسط من سيناء .. دارت معارك الـ ١٣٠ ساعة .. والتى بدأت صباح الاربعاء واستمرت حتى غروب شمس اليوم الثانى والعشرين من اكتوبر .. وفى هذه المعركة التصادمية الرهيبة التى اشترك فيها الآلاف من الرجال دفع الجانبان على ارض سيناء بالمئات من الدبابات ووحدات المدفعية الثقيلة والعديد من الالوية المدرعة والسيارات العسكرية المصفحة ووحدات الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات ورجال المشاة الميكانيكيين !.

وعندما بدأ القتال فى فجر ذلك اليوم .. كنت فى جبهة القتال .. وشهدت كيف حولت النيران ارض القطاع الاوسط من سيناء الى جحيم لكثافة ما القى فيها من النيران وقذائف الموت من كل الانواع والاحجام وكان استمرار المعارك بنفس العنف والضراوة وهيبا .. لم تكن هناك فترة هدوء توقف لدقيقة واحدة .. فى الليل او النهار .. دفع العدو بكل ما يملكه واستخدم خلال الايام الخمسة الاخيرة من حرب سيناء ٣ اجيال من القادة العسكريين .

مع ذلك كله وبعد كل ما بذله العدو فان الفشل الذى لحق بالجيش الاسرائيلى فى حرب سيناء الرهيبة .. شاهده العالم كله .. لقد فشل سلاح مدرعات العدو فى تحقيق هدف المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بعد كل ما حصلت عليه من دعم ولم يستطع ان يزحزح قواتنا عن مواقعها فى سيناء شبرا واحدا - بل ان قواتنا تمكنت خلال المعارك الرهيبة من دفع قوات العدو الى حافة خط الدفاع الاسرائيلى الثانى فى عمق سيناء .. !

وربما يكون من المفيد هنا ايضا .. ان نعرف راى قادة العدو وردود الفعل فى هيئة الاركان الاسرائيلية لمعركة الـ ١٣٠ ساعة على أرض سيناء .. قال المتغطرس الصهيونى المفتون بنفسه والنرجسى المزاج ديان وهو يصف معارك المدرعات فى سيناء ((نحن فى حرب مختلفة جدا .. ثقيلة بأيامها .. ثقيلة بدمائها !)) وحتى الجنرال هيرتزوج معلق اذاعة اسرائيل العسكرى والذى يقوم بدور جوبلز فى الدعاية الاسرائيلية .. لم يستطع أن يخفى الحقيقة .. فقال بكل الانزعاج من الراديو الصهيونى ان تركيز اسرائيل اصبح الآن كله على الجبهة المصرية .. وقال أن القوات الاسرائيلية تحاول الافلات من التكتيك الذى وضعته القيادة المصرية وتنفذه القوات على الطبيعة بدقة متناهية وهو يهدف الى اجبار القوات الاسرائيلية على ان تبقى دائما فى حالة دفاع وان تظل قدرتها على المناورة محدودة .. !

تدمير الهجوم الاسرائيلى

وكان لعنف الضرب المستمر من جانب القوات المصرية وهى ترد على الهجوم الاسرائيلى الشامل ان قال

القائد الاسرائيلى لجبهة سيناء الجنرال جونين .. ان القوات المصرية تشن هجمات مضادة كثيفة على شكل موجات وراء موجات وهذه القوات المصرية ترد بنيران كثيفة وباسلحة مضادة للدبابات غاية فى الضراوة والكثافة .. واضاف هذا القائد بياس .. أن المصريين يحاربوننا بعنف ويفعلون كما فعل الصينيون فى حرب كوريا .. يحاربون بموجات وراء موجات .. ويحاربوننا بعناد شديد.. وهذه التصريحات التى عبرت عن يأس الجيش الاسرائيلى فى تحقيق اهدافه فى دفع القوات المصرية الى اتجاه الضفة الشرقية للقناة .. اعلنها قائد الجبهة الجنوبية الاسرائيلى مساء السبت ٢٠ اكتوبر اى قبل وقف اطلاق النار بـ ٤٨ ساعة رغم كل الامدادات التى حصل عليها .. !

آثار المعارك على أرض سيناء

وفى ارض المعارك .. تجد المئات من دبابات العدو ومدرعاته .. ووحداته العسكرية محترقة خلال زياراتى المتتالية الى ارض المعارك الكثير من دبابات العدو سليمة .. وبعضها اصيب اصابة طفيفة فى الدروع الخارجية ولم تتأثر الدبابات بهذه الاصابات ولكن العدو الذى لا يستطيع ان يقاتل الا وهو آمن لا يجرؤ على الاستمرار فى القتال داخل الدبابة حتى وان كانت اصابتها خفيفة .. ! ورايت الدبابات الامريكية الرهيبة .. وهى واقفة بعد ان اصيبت فى جنازيرها ولم يستطع رغم كل وسائل الدمار التى تحملها داخلها ان تمنع قواتنا من تدميرها بل ان المئات من هذه الدبابات دمرت بايدى الجنود المصريين من رجال المشاة الميكانيكيين الابطال الذين قاموا بدور بالغ الخطورة فى حرب سيناء المدرعة سيذكره التاريخ العسكرى الحديث لهم بكل الفخر .. !

ان القادة المصريين فى سيناء يفخرون بجندى المشاه المصرى وما حققه من بطولات على أرض سيناء .. لقد ساهم رجال المشاه الميكانيكية بدور بارز جعل العدو يغير من تكتيكاته العسكرية عدة مرات خلال معارك سيناء وبالذات الايام الاخيرة من الحرب ومع ذلك تمكن هؤلاء الرجال العظام من احداث خسائر فادحة بل ورهيبة فى سلاح المدرعات الاسرائيلى .. لدرجة ان المصادر العسكرية الاسرائيلية لم تستطع اخفاء هذه الحقيقية ونقلت وكالات الانباء عن هذه المصادر الاسرائيلية قولها .. ان الصواريخ المضادة للدبابات التى تستخدمها قوات المشاة المصرية قد اكدت نجاحها فى المعارك وان هذه الصواريخ عبارة عن سلاح صغير يحمله الجندى على كتفه .. !

بطولات الرجال

وعلى ارض سيناء .. لابد ان يقف الانسان المصرى شامخا .. رافعا الرأس الى جانب هؤلاء الرجال الذين قادوا واشتركوا فى معارك الصحراء على الارض المقدسة واستطاعوا ان يحققوا هذه الانتصارات وان يلقنوا العدو دروسا قاسية .. لن تنساها اسرائيل ابدا .. انهم رجال يؤمنون

بالله وبالوطن وبالقائد .. وبتحرير أرض مصر من الغزاة .. وهم الذين عاشوا كل سنوات المعاناه الصعبة فى انتظار أن تتاح لهم فرص القتال أمام العدو وجها لوجه .. وعندما اتيحت لهم هذه الفرصة اثبتوا انهم اشجع المقاتلين فى العالم باعتراف العدو والصديق .. !

وخلال المعارك التصادمية .. كانت شجاعة الرجال وروحهم المعنوية لاتوصف .. كانت نداءات الله اكبر .. الله اكبر .. تسبق قتالهم الشريف العادل .. وكانوا يقاتلون ليس لساعات متواصلة وانما لايام دون توقف ودون الحصول على فترة راحة قصيرة .. وليس جديدا أن اقول أن رجال قواتنا المسلحة المصرية كانوا فى معركة سيناء ابطالا وانهم قاتلوا بشراسة وضراوة وعنف لا يلين .. !

ولكننى اريد أن اقول ان معارك اكتوبر على أرض سيناء ستظل الى الابد صفحة رائعة ستضاف الى تاريخ نضال شعبنا العظيم وقواته المسلحة الباسلة على طول التاريخ .. !

ان حرب المدرعات فى سيناء ستظل فترة كبيرة من الزمن مجالا واسعا للدراسات العسكرية المعاصرة بما تحقق خلالها وما اضافته قواتنا لحرب الصحراء فى مواجهة القوة العسكرية الاسرائيلية المدعومة بامكانيات جهاز الحرب الامريكى .. ولاشك أن الخبراء العسكريين فى العالم سيجدون الكثير يقولونه عما جرى فى معارك الـ ١٢٠ ساعة الاخيرة التى بدات فى الساعات الاولى لصباح الاربعاء .. واستمرت بنفس العنف والضراوة بصورة لم يسبق لها مثيل فى الحروب التقليدية التى جرت فى العالم كله استمرت حتى الساعة السابعة من مساء ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .. !

وفى تلك الساعة عندما هدأت المدافع فى مواقعها داخل الرمال ونامت الصواريخ على قواعد اطلاقها واستراحت الدبابات على جنازيرها .. وتوقفت المدرعات على أرض الصحراء وسحب العدو باقى دباباته واسلحته الى خط الدفاع الثانى ((بارليف رقم ٢)) فى العمق ، فى تلك الساعة كانت قواتنا على أرض سيناء قد حققت الكثير والكثير جدا وتاكد العالم كله أن جيشنا قادر على ضرب الجيش الاسرائيلى وهزيمته .. وأن اسطورة سلاح الرعب الاسرائيلى لم يعد لها وجود وان موازين القوى العسكرية على أرض الشرق الاوسط تغيرت تماما .. وانه اذا كان الجيش الاسرائيلى يمثل دور الوحش المفترس فانه بالتاكيد ليس هو الوحيد داخل الغابة ..

فتحى رزق